

Distr.: General
18 August 2014
Arabic
Original: English

الجمعية العامة



الدورة التاسعة والستون
البند ١٩ (ح) من جدول الأعمال المؤقت*
التنمية المستدامة

الانسجام مع الطبيعة

تقرير الأمين العام

موجز

يُدرج أيضاً هذا التقرير، الذي يُقدّم عملاً بطلب الجمعية العامة الوارد في قرارها ٢١٦/٦٨، كإسهام في مناقشة خطة التنمية لما بعد عام ٢٠١٥، مع مراعاة الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة. ويستند التقرير إلى المساهمات التي قُدمت في جلسة التفاوض التفاعلي الرابعة بشأن الانسجام مع الطبيعة، المعقودة في ٢٢ نيسان/أبريل ٢٠١٤ خلال الاحتفال باليوم الدولي لأمنا الأرض.

* A/69/150



الرجاء إعادة استعمال الورق

120914 110914 14-58791 (A)



أولا - مقدمة

- ١ - عملاً بقرار الجمعية العامة ٢١٦/٦٨ بشأن "الانسجام مع الطبيعة"، عقد رئيس الجمعية العامة، في دورتها الثامنة والستين، جلسة التحوار التفاعلي الرابعة في الموضوع خلال الاحتفال باليوم الدولي لأمننا الأرض في ٢٢ نيسان/أبريل ٢٠١٤، وذلك بمشاركة الدول الأعضاء ومنظمات الأمم المتحدة والخبراء المستقلين والمجموعات الرئيسية وغيرهم من الجهات المعنية. ويقدم الأمين العام إلى الجمعية العامة هذا التقرير عن تنفيذ القرار ٢١٦/٦٨، الذي يشمل مناقشة للحوار المركّز والذي يُدرج أيضاً كإسهام في مناقشة خطة التنمية لما بعد عام ٢٠١٥، مع مراعاة الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية المستدامة.
- ٢ - وكان الغرض من جلسة التحوار التفاعلي الرابعة بشأن الانسجام مع الطبيعة هو بحث التطور الحاصل في مجالات العلوم والحكومة والاقتصاد في ضوء الفهم المستجد لترابطنا مع الطبيعة، الذي يفضي بدوره إلى اتباع ممارسات تعمق العلاقة الأخلاقية القائمة بين البشرية وكوكب الأرض والعيش في انسجام مع الطبيعة.
- ٣ - وفي مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، المعقود في ريو دي جينيرو بالبرازيل في حزيران/يونيه ٢٠١٢، اعتمد رؤساء الدول والحكومات الوثيقة الختامية المعنونة "المستقبل الذي نصبو إليه" (القرار ٢٨٨/٦٦)، التي سلّموا فيها بأن كوكب الأرض ونظمه الإيكولوجية هي بيتنا وأن "أمننا الأرض" تعبير شائع في عدد من البلدان والمناطق، ولاحظوا أن بعض البلدان تعترف بحقوق الطبيعة في سياق النهوض بالتنمية المستدامة. وأعربوا فيها أيضاً عن اقتناعهم بضرورة العيش في وئام مع الطبيعة لتحقيق التوازن العادل بين الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للأجيال الحاضرة والمقبلة.
- ٤ - وأعربت أيضاً المجموعات الرئيسية والجهات المعنية الأخرى، بما في ذلك المنظمات غير الحكومية وجماعات الشعوب الأصلية ومنظمات المجتمع المدني في جميع أنحاء العالم، عن ضرورة أن تقر البشرية بالحقوق الأساسية لعالم الطبيعة. وبالموازاة مع مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة المعقود في عام ٢٠١٢، دعت المجموعات الرئيسية والجهات المعنية الأخرى في "مؤتمر قمة الشعوب ريو+٢٠" حكومات وشعوب العالم إلى اعتماد وتنفيذ "إعلان عالمي لحقوق أمننا الأرض". وكُرت هذه الدعوة في المؤتمر العالمي للشعوب المعني بتغير المناخ وحقوق أمننا الأرض، المعقود في كوتشابامبا، بدولة بوليفيا المتعددة القوميات، في نيسان/أبريل ٢٠١٠.

٥ - ومنذ عام ٢٠١٢، أُتخذت مبادرات هامة معنية بحوكمة التنمية المستدامة شملت ما يلي: وثائق سياسات تدعو إلى إرساء نموذج جديد "للعيش الجيد في انسجام مع الطبيعة" ("Vivir Bien en Harmonia con La Naturleza" في النص الأصلي الإسباني)؛ وظهور تطورات مستجدة في مجال تشريع "حقوق الطبيعة" في عدد من البلدان في جميع أنحاء العالم؛ واستعمال مصطلح "أمننا الأرض" الذي حصل على اعتراف أوسع نطاقاً، وإن لم يكن عالمي النطاق.

٦ - وفي أيلول/سبتمبر ٢٠١٢، في المؤتمر العالمي لحفظ الطبيعة الذي عقده الاتحاد الدولي لحفظ الطبيعة والموارد الطبيعية، وفي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٣، في مؤتمر الحياة البرية العاشر، أُتخذت قرارات بشأن حقوق الطبيعة^(١).

٧ - وفي كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٣، في الدورة الثانية للمنبر الحكومي الدولي للعلوم والسياسات في مجال التنوع البيولوجي وخدمات النظم الإيكولوجية، أصبحت نظم المعارف في مجال العيش في انسجام مع الطبيعة ومع أمننا الأرض عناصر أساسية في الإطار المفاهيمي المعتمد^(١).

٨ - ورأى ممثلون عن بعض الدول الأعضاء تكلموا في جلسة التفاوض التفاعلي الرابعة بشأن الانسجام مع الطبيعة المعقودة في نيسان/أبريل ٢٠١٤ ضرورة إيلاء هذه القضايا الاعتبار المناسب في وضع خطة التنمية لما بعد عام ٢٠١٥^(١).

٩ - وفي حزيران/يونيه ٢٠١٤، وبمناسبة انعقاد مؤتمر القمة التذكاري لإحياء الذكرى الخمسين لإنشاء مجموعة الـ ٧٧ والصين، في سانتا كروز دي لا سيررا، بدولة بوليفيا المتعددة القوميات، اعتمد رؤساء الدول والحكومات إعلان سانتا كروز دي لا سيررا المعنون "نحو نظام عالمي جديد للعيش الجيد"، الذي يتضمن عدداً كبيراً من الإشارات الصريحة التي تدعو إلى اتباع نموذج "العيش الجيد في انسجام مع الطبيعة"، وإلى إقرار "حقوق الطبيعة" واحترام أمننا الأرض^(١).

١٠ - وشدد الأمين العام، في البيان الذي أدلى به في المؤتمر المذكور أعلاه، على أننا إذا أهملنا أمننا الأرض، فستحرمنا ما تقدمه لنا من حماية، وأكد من جديد على أننا بلغنا أصلاً

(١) انظر: <http://www.harmonywithnatureun.org/rightsofnature.html>.

(٢) في ١٨ تموز/يوليه ٢٠١٤، في الوثيقة الختامية للفريق العامل المفتوح باب العضوية التابع للجمعية العامة والمعني بأهداف التنمية المستدامة، أُشير إلى الانسجام مع الطبيعة في المقدمة وفي الهدف ١٢-٨ على السواء.

نقطة تحول. وأعاد أيضا تأكيد مفهوم "العيش الجيد" على النحو المحدد في إعلان سانتا كروز دي لا سييرا، وشدد على ضرورة أن تعيد البشرية تحديد علاقتها مع أمنا الأرض وأن تشرع في إحداث تحول عالمي، من حيث السلوك والممارسة. وقد بدأ هذا التحول يتحقق بالفعل.

١١ - وبالتالي، سيبدأ هذا التقرير بتناول البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة. وفي هذا السياق، سيبحث الكيفية التي مهدت بها العلاقة الكلية التي ما فتئت الشعوب الأصلية تقيمها مع أمنا الأرض منذ قدم الزمان الطريق للعلماء في العالم الحديث كي ينظروا إلى الأرض كنظام كلي، لا يكون فيه لأي عنصر أي أسبقية على عنصر آخر، ضمن نسق غير قابل للتجزئ ومنتسلسل إلى ما لا نهاية، في إطار ما يسميه العلماء علم النظام الأرضي.

١٢ - وقد مهد علم النظام الأرضي السبيل أمام حوكمة النظام الأرضي، وظهور القانون المراعي للأرض والاقتصاد المراعي للأرض، وجميعها مسائل يتناولها هذا التقرير أيضا. فكل واحد من هذه التغييرات التطورية، يدل، إن اعتُبر بمفرده أو مجتمعا مع غيره، على طريق جديد يُفتح أمامنا لضمان سلامة هذا الكوكب ورفاهية الشعوب التي تعيش فيه.

ثانيا - "العيش الجيد في انسجام مع الأرض": نموذج قابل للقياس مصدره العالم النامي^(٣)

١٣ - ظهر مفهوم "العيش الجيد"^(٤) خلال السنوات العشر الأخيرة، ولا سيما في أمريكا الجنوبية. ويعني البحث عن طريقة مختلفة للتفكير في أنماط العيش كرد فعل على نماذج التنمية الحالية، انتقالا من النماذج الموجهة نحو النمو والقائمة على استخراج الموارد الطبيعية إلى الرؤية الشاملة للعالم التي تراعي منظور الشعوب الأصلية الكلي للعالم، والتي لا تتضمن مفهوم الرخاء القائمة على الرفاه المادي والاستهلاك.

١٤ - ويوضح أخصائي الإيكولوجيا إدواردو غوديناس من أوروغواي، وهو أحد المؤيدين الرئيسيين لمفهوم العيش الجيد، بأن المفهوم يصف الحياة الجيدة بمعناها الأوسع. إنه مفهوم مركب من نقطتين اثنتين، فهو (أ) يشمل ردود الأفعال النقدية على نظرية التنمية التقليدية، و (ب) يحيل على بدائل للنماذج الحالية للتنمية الاقتصادية، تنبثق من تقاليد الشعوب

(٣) يستند هذا الفرع إلى عمل إدواردو غوديناس المعنون "العيش الجيد: المستقبل يبدأ اليوم"، ٢٠١١. انظر:

<http://www.palgrave-journals.com/development/journal/v54/n4/full/dev201186a.html>

(٤) المصطلح الأصلي باللغة الإسبانية هو "Vivir Bien" أو "Buen Vivir".

الأصلية. وبهذا المعنى، فالمفهوم يستكشف إمكانات تتجاوز النظرية المعاصرة الأوروبية المنحى.

١٥ - ويتضمن مصطلح العيش الجيد الأفكار الكلاسيكية المرتبطة بجودة الحياة لكنه يشمل فكرة متميزة مفادها أن الرفاه لا يمكن أن يتحقق إلا داخل مجتمع محلي. وعلاوة على ذلك، فمفهوم المجتمع المحلي يُفهم في معظم النُهج بمعناه الموسع بحيث تدخل الطبيعة ضمنه. والعيش الجيد ينطوي على مفهوم واسع للرفاه بحيث يشمل التعايش المنسجم مع البشر ومع الطبيعة.

١٦ - وهناك نهجان للعيش الجيد هما الأكثر شهرة، ويتعلقان بالمفهوم الإيكوادوري "sumac kawsay"، وهو التعبير الذي يستخدمه شعب الكيتشوا للدلالة على الحياة المكتملة داخل مجتمع محلي، مع الآخرين ومع الطبيعة، ومفهوم "suma qamaña" الذي يستخدمه شعب الأيمارا البوليفي. ويستقطب هذان المفهومان اهتماما واسع النطاق، وقد لقيتا، في مدة وجيزة، تأييدا كبيرا، على المستويات الاجتماعية والثقافي والسياسي. وهما يتيحان مسارات قيمة لتجاوز الهوس بكلمة "التنمية"، كما تُفهم حاليا، واستكشاف بدائل في سياق متعدد الثقافات.

١٧ - ويقدم عمل عالم الاجتماع الأيماري البوليفي سيمون يامبارا صياغة تفصيلية متطورة للمعرفة التقليدية التي تتصدى للتحدي الحالي الذي يفرضه الفهم الاقتصادي الراهن للتنمية. ويوضح العالم أن مفهوم "suma qamaña" لا ينحصر في الرفاه المادي، كما تعبر عنه الملكية أو الاستهلاك اللذان هما في صلب المجتمعات الرأسمالية، بل هو توازن منسجم بين المكونات المادية والمكونات الروحية، وهذا ما لا يتحقق إلا في السياق الخاص للمجتمع المحلي الذي هو بدوره وحدة اجتماعية وإيكولوجية متكاملة. وهذا التصور الاجتماعي والإيكولوجي للمجتمع المحلي مرتبط بمفهوم "ayllu" الذي عُرف عند شعوب الأنديز، والذي فحواه أن مفهوم الرفاه لا يشمل الناس فقط وإنما المحاصيل والماشية وباقي عناصر الطبيعة أيضا. فالثنائية الإنمائية التقليدية التي تعزل المجتمع عن الطبيعة تتلاشى في هذا المنظور، ذلك أن الواحد منهما ينطوي على الآخر، فهما واحد لا يتجزأ.

١٨ - ويعبر مفهوم العيش الجيد عن عملية تجري الآن وتتيح أجوبة جديدة على أسئلة ما بعد التنمية، وتعزز في الوقت ذاته الهوية الثقافية وتروج لبدائل للمفاهيم التقليدية للحدثة. ومن المهم التأكيد على أن العيش الجيد لا ينحصر في الشعوب الأصلية ولا هو يعنيهم وحدهم. فثمة نُهج أخرى للعيش الجيد مصدرها المجموعات المهمشة داخل المجتمعات الحديثة والمتقدمة للمعتقدات الاقتصادية القائمة.

١٩ - ومن الأمثلة على هذه النهج البديلة أعمال أرتورو إسكوبار، الأخصائي الأنثروبولوجي الكولومبي الشهير، الذي قام بتحليل نقدي للمفهومين التقليديين للتنمية وما بعد التنمية. وخلص ذلك التحليل إلى أن ثمة حاجة إلى تعزيز المفاهيم من قبيل "sumac kawsay" أو "suma qamaña".

٢٠ - أما المثال الثاني فيشير إلى فلسفات بيئية، مثل الإيكولوجيا المتعمقة وغيرها من النهج التي محورها الكائنات الحية، التي ترفض منظور الحداثة الذي محوره الإنسان فقط وتتعرف للبيئة بقيم جوهرية، فهذه الفلسفات مماثلة للمواقف الموجودة في العديد من منظورات العيش الجيد عند الشعوب الأصلية.

٢١ - ويعزز العيش الجيد المنظورات الأخلاقية المستندة إلى القيم. وهو رد فعل على الهيمنة الحالية للقيم النفعية، ولا سيما تلك التي يعبر عنها اختزال الحياة في القيم الاقتصادية الصرفة وما ينتج عنها من تحويل جزء كبير من الطبيعة إلى سلعة. ويقر مفهوم العيش الجيد بأن ثمة عدة طرق لإضفاء قيمة على الحياة، بما في ذلك عناصرها الجمالية والثقافية والتاريخية والبيئية والروحية. فالحضور المستمر للفئات الرأسمالية (من قبيل الرأسمال البشري والرأسمال الطبيعي) يُعاد تحديدها حتى تصبح مجرد طريقة لإضفاء القيمة وتدخل ضمن إطار أوسع لعلم الاقتصاد يدعم العيش الجيد الشامل.

٢٢ - وفي هذه النهج جميعها، يُعترف بوجود قيم جوهرية. ونتيجة لذلك، تصبح الطبيعة موضوعا بدورها. وتؤيد الرؤية التي يدعو إليها مفهوم العيش الجيد الحاجة إلى استكشاف بدائل تتجاوز المعارف التقليدية تأييدا قويا. وبالتالي، فإنهاء الاستعمار هو أيضا مظهر من مظاهر العيش الجيد. فهذا العيش يحترم ما هو متضمن فيه من تعددية التصورات، دون إخضاعها للتراتبية. وأما المنظور الليبرالي التقليدي لتعدد الثقافات فهو غير كاف للوفاء بهذا الغرض، ولذلك يُتبع نهج التفاعل فيما بين الثقافات. فالعيش الجيد يعني أكثر من مجرد التعايش بين مختلف الثقافات أو تجاورها لأنها تتفاعل في إطار الحوار والممارسة المركزة على تعزيز بدائل التنمية.

٢٣ - ويعرض مفهوم العيش الجيد اسراتيجيات من قبيل الإصلاحات القانونية، واعتماد المحاسبة البيئية، والإصلاحات الضريبية، ونزع الطابع المادي من الاقتصادات، وإعمال التكامل الإقليمي البديل داخل أمريكا اللاتينية، والتركيز على تلبية الاحتياجات المحلية والإقليمية بدل إعطاء الأولوية للأسواق العالمية.

٢٤ - ويدعو مفهوم العيش الجيد إلى إلغاء ازدواجية المجتمع والطبيعة. فالطبيعة تصبح جزءا ومكونا من العالم الاجتماعي والعكس صحيح، وعلى هذا النحو يمكن للمجتمعات المحلية أن

تتوسع لتشمل الأشكال غير البشرية من الحياة. وهذا يتسق، على سبيل المثال، مع المنظورات البيئية التي محورها الكائنات الحية وأيضاً مع مواقف الشعوب الأصلية التي تقر بضرورة أن يكون لجميع الكائنات غير البشرية (الحيوان أو النبات أو النظم الإيكولوجية) حقوق. وبذلك يتسع نطاق المدينة - الدولة المتميزة بروح الانتماء للجماعة، ويُوسّع مفهوم المواطنة ليشمل الطبيعة.

ثالثاً - علم النظام الأرضي

٢٥ - سادت، منذ أمد طويل، وجهة نظر بشأن العلاقة بين الإنسان والبيئة تتمثل في نموذج استقلالية الجنس البشري الذي يعتبر البشر منعزلين عن الأنواع الأخرى وعن البيئة لأنه يراهم سادة لهذا الكوكب. وقد تناول تقرير الأمين العام السابق عن الانسجام مع الطبيعة (A/65/314 و A/66/302) بالفعل الجذور التاريخية لهذه النظرية تناولاً مفصلاً. وخلاصة القول إن العلماء قد أقرّوا منذ حقبة خلّت بأن هذه النظرية العلمية التي عمرت لمدة ٣٠٠ سنة مغرقة في التبسيط، كما استنتجوا أن المكونات المادية تعمل وتوجد من خلال سياقات وعلاقات شديدة التعقيد والترابط والتغير.

٢٦ - ويتبنى العلماء نظرة كلية للأرض ويرون أن جميع العناصر مترابطة وأن التغيرات التي تلحق أي عنصر واحد تؤثر في أداء العناصر الأخرى بطرق لا تُحصى ولا تُعرف في الغالب الأعم. ويشير العلماء إلى هذه النظرة الكلية للأرض باسم علم النظام الأرضي.

٢٧ - ويوضح الأستاذ مارك لورانس، من معهد الدراسات المتقدمة للاستدامة أن نظام الأرض المتسم بالتعقيد يتكون من الغلاف الجوي، والقشرة الأرضية (اليابسة)، والغلاف المائي (المياه السائلة في المحيطات والأنهار، وبخار الماء الموجود في الغلاف الجوي والماء السائل والجليد الموجود في السحب)، والغلاف الجليدي (اليابسة المتجمدة)، والمحيط الحيوي، ومحيط الأنشطة البشرية. ويشمل محيط الأنشطة البشرية كلا من محيط الأنشطة التكنولوجية، أي كل أشكال تنميتنا الصناعية، والمحيط الفكري، أي وعينا الجمعي^(٥).

٢٨ - وكل واحد من هذه العناصر مرتبط بالآخر في المكان والزمان من خلال عمليات لا حصر لها تتم في إطار النظام الأرضي، وهذه الترابطات تفضي إلى تعقيد بالغ. ومن ثم

(٥) Mark Lawrence, "The 'Anthropocene' - Humans in the Earth System", second interactive dialogue on Harmony with Nature, April 2012 (www.harmonywithnatureun.org).

فالنظر إلى أي عنصر بمعزل عن العناصر الأخرى لا يعطي سوى صورة محدودة جدا عن سلوكه في سياق النظام الأرضي بكامله^(٥).

٢٩ - وهذا التعقيد وهذه الدرجة من الترابط فيما بين جميع العناصر قد أقرهما العلماء تدريجيا بالطريقة التي ينظرون بها إلى الأرض. فمثلا، إذا عدنا إلى السبعينات من القرن الماضي، كانت النماذج المناخية بسيطة جدا ولم تكن تمثل سوى الغلاف الجوي وتأثير الإشعاع الشمسي. وفي الثمانينات، أُدخلت عمليات سطح الأرض مثل العمليات الهيدرولوجية. أما في التسعينات، فُقرنت نماذج الغلاف الجوي بنماذج المحيطات والجليد البحري، ثم حصل، خلال العقد الأول من هذا القرن، تطور رئيسي هو إدخال النماذج النباتية الدينامية، كما طرأت تحسينات على طريقة تمثّلنا للتأثيرات البشرية على البيئة^(٥). والإيكولوجيا نفسها علم قد تطوّر تطورا هائلا في هذه الفترة حيث سُن العديد من القوانين البيئية في أوائل السبعينات.

٣٠ - وإن المعاهد المشاركة حاليا في الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ تستخدم الآن نماذج معقّدة للنظام الأرضي بدلا من النماذج المناخية البسيطة. وهي تدرك أننا نتعلم يوميا الكيفية التي يجري بها تمثيل كل من هذه العناصر والعمليات العديدة التي تحدث في النظام الأرضي، في هذه النماذج. ولدى دراستنا لهذه النماذج، نجد أننا كلما تعلمنا المزيد كلما زاد قلقنا عموما إزاء النتائج، فيما يبدو.

٣١ - ويتضح من الروابط العديدة بين مختلف عناصر النظام الأرضي وجود دورات طبيعية معقّدة تربط بين الغلاف الجوي والمحيط الحيوي والغلاف المائي. ويقدم المثال التالي نظرة عامة لوظائفها تشير إلى ضرورة اتخاذنا المزيد من الحيطة فيما نقوم به من إجراءات لمنع حدوث مزيد من الأضرار غير المتوقعة.

٣٢ - ويتضح من الدراسات المخبرية أن العوالق النباتية تنمو بمزيد من الفعالية في المياه الأكثر دفئا، إذا تلقت المزيد من ضوء الشمس: وتمثل العوالق النباتية عوامل رئيسية في حياة المحيطات، والبحار، وأحواض المياه العذبة، إذ تنتج، من بين ما تنتج، غازا يسمى السلفيد الثنائي الميثيل dimethesulfide. ويتشكّل هذا الغاز على سطح مياه المحيطات ويتسرب إلى الغلاف الجوي حيث يتحول إلى أشكال أخرى من الغازات المحتوية على الكبريت، مثل حمض الكبريتيك. وتميل جزيئات حمض الكبريتيك إلى التكتف في شكل جسيمات دقيقة. وهذه الجسيمات مهمة لتكوين السحب، والمعتاد أنه عندما تزداد هذه الجسيمات الدقيقة، فإن نفس كمية الماء في السحب تنتشر في شكل تجمع أكبر لقطيرات أصغر، مما يجعلها أشد لمعانا^(٥).

٣٣ - وعندما تدفأ المحيطات، تنتج المزيد من السلفيد الثنائي الميثيل ويدخل في الغلاف الجوي مشكلاً سحباً أكثر لمعانا تعكس المزيد من ضوء الشمس على الطبقات العليا من الغلاف الجوي، ويؤدي إلى نقص كمية ضوء الشمس الذي يصل إلى سطح المحيطات، ويؤثر تأثيراً مضاداً للاحترار الأولي^(٥).

٣٤ - وبعبارة أخرى، فإن تأثير الاحترار الأولي، الناجم عن بعض التفاعلات في المحيط الحيوي والغلاف المائي والغلاف الجوي، يؤدي إلى انخفاض مستوى الاحترار. ومن غير الواضح إلى الآن مدى قوة هذا التأثير السلبي، أي مدى انخفاض الاحترار الأولي، أو حتى ما إذا كانت هذه العملية تمضي فعلاً على هذا النحو، إذ يمكن للعديد من العوامل الأخرى أن تتدخل؛ ومن هذه العوامل، على سبيل المثال، التغير في سرعة الرياح، أو في خليط أنواع العوالق النباتية في المياه الأكثر دفئاً^(٥).

٣٥ - وعند تدفئة مياه القطب الشمالي ينتج عنها نقص في كمية الجليد البحري مما يجعل هذه المياه أكثر دُكنة، فتمتص المزيد من ضوء الشمس وتسخن على نحو أسرع، حتى أنها تؤدي إلى مزيد من الاحترار وإلى مزيد من تناقص الجليد البحري. وهذا مثال على التعقّد البالغ للطبيعة^(٥). وإذن، كيف يمكن للإنسان التأثير في النظام الأرضي؟

٣٦ - ففي ١٢ أيار/مايو ٢٠١٤، أفاد فريقان من العلماء بأن جزءاً كبيراً من الصفيحة الجليدية الضخمة في غرب أنتاركتيكا قد بدأ في الانهيار، وأن ذوبانها المستمر يبدو الآن أنه لا يمكن وقفه. ويشير أولئك العلماء إلى أن هذا الذوبان يمكن أن يؤدي إلى زعزعة أجزاء الجليد المجاورة. وقد لا يمكن تفادي حدوث ارتفاع في مستوى سطح البحر بمقدار ١٠ أقدام أو أكثر في القرون المقبلة.

٣٧ - ويشير العلماء إلى أن الاحترار العالمي الناجم عن انبعاث غازات الاحتباس الحراري بسبب الأنشطة البشرية، قد ساعد على زعزعة الصفيحة الجليدية، وإن كانت هناك عوامل أخرى قد يكون لها دور في هذا الشأن. ويضيف أولئك العلماء أن ارتفاع مستوى سطح البحر من المرجح أن يظل بطيئاً نسبياً في الأجل القريب، ولكنه يمكن أن يتسارع تسارعاً ملحوظاً عند نقطة معينة في المستقبل، مما يمكن أن يزعج بالمجتمع في أزمة.

٣٨ - ويبدو أن النتائج الجديدة التي تم التوصل إليها تحقق ما تنبأ به عالم بارز في مجال الجليديات، هو جون هـ. ميرسر بجامعة ولاية أوهايو، الذي بيّن ضعف الصفيحة الجليدية بغرب أنتاركتيكا، وحذّر من أن الانبعاث السريع لغازات الاحتباس الحراري الناجمة عن النشاط البشري يمثل "تهديداً بوقوع كارثة". وقد هوجم آنذاك، ولكن العلماء أصبحوا في

الآونة الأخيرة يرقبون بقلق متزايد سير الأحداث الذي يمضي غالبا على نحو ما تنبأ به الدكتور ميرسر.

٣٩ - وفي مستهل القرن الحادي والعشرين، أدت تأثيرات النشاط البشري على كوكب الأرض، بما فيها تأثيرات قطاعات الطاقة، والتصنيع، والنقل، إلى تدمير الموئل، وتلوُّث المياه، وتدهور التربة، والتلوُّث الضوضائي.

٤٠ - وينعكس الجانب المظلم للنشاط البشري في العديد من الآثار، التي تشمل تلك التي أبلغت عنها الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيّر المناخ، وهي: التغيّر الواسع النطاق للدورات الطبيعية لعناصر من قبيل الكربون والنيتروجين، ونضوب العديد من الموارد الطبيعية، وارتفاع مستويات سطح البحر، والتصحرُّ، وشدة الظواهر الشديدة مثل حالات الجفاف، والفيضانات، والأعاصير، وانقراض العديد من الأنواع.

٤١ - وقد حدثت خلال تاريخ الحياة على كوكب الأرض حالات انقراض جماعي كبير للأنواع وتشير حالات الانقراض هذه إلى ظواهر أدت إلى فقدان فادح للتنوع البيولوجي. وكان أشدها فداحة ما وقع في نهاية الحقبة البرميّة، منذ نحو ٢٥٠ مليون سنة، وكاد أن يخلي أرضنا من كل أثر للحياة عليها. ويشار إلى هذا الحدث أحيانا باسم "أمّ حالات الانقراض الجماعي" أو "الهلاك العظيم"^(٦). ويرى العلماء الآن أن فقدان التنوع البيولوجي قد ينافس تغيّر المناخ من حيث تأثيراته السلبية على سلامة النظم الطبيعية.

٤٢ - وقد دقّ مؤخرا بشدة جرس إنذار بشأن اختفاء النحل. ومعلوم أن النحل التي قام الإنسان بتدجينها لنحو ١٣ ألفا من السنين، تقوم بتلقيح قسط كبير من النباتات التي نستهلكها؛ فبحسب إحدى التقديرات فإن كلّ لقمة نتناولها قامت نحلة بتلقيح ثلثها.

٤٣ - وتمثل النحل المدجّنة حوالي ثلث مجموع النحل في العالم، وهي تقوم بدور رئيسي في الإنتاج الزراعي. ويتذبذب مجموع النحل، المدجّنة والبريّة، تذبذبا كبيرا من عام إلى عام. ثم إن الجفاف يقلل كمية الغذاء البري المتاح الذي لا بد منه للنحل كي يكتب لها البقاء. كما أن العواصف والكوارث الطبيعية يمكن أن تمحو من الوجود مستعمرات للنحل أضعفتها الاضطرابات البشرية، وعانت فيها خرابا.

٤٤ - وتقول الأستاذة باربرا بودو بكلية سانت أنسيلم، جامعة نيوهامشير، المشاركة في جلسة التحوار التفاعلي الرابعة بشأن الانسجام مع الطبيعة:

(٦) Elizabeth Kolbert, *The Sixth Extinction: An Unnatural History*, Henry Holt & Cie, 2014

”إن عدم جدوى الأخذ بنهج متجزئ إزاء المشكلات الطبيعية والبيئية يتجلى في الوضع المأساوي لنحل العسل في بقاع عديدة من العالم. فقيام النحالين على نحو انتقائي بقصر خلية النحل على القيام بدور معمل تلقيح متنقل للمشاريع البشرية قد أفسد تآلف الخلية: فالنحل مجهد، وغرائزها مدمرة، وغذاؤها مسموم بالمبيدات أو مقلوع لإفساح المجال لزراعات أحادية المحصول فترات إزهارها قصيرة“.

فالتركيز حصرا على تطوير استخدام مجموعات متنوعة من المحاصيل والأنواع التجارية، ليس إلا واحدا من الأخطاء العديدة التي تتهدد الحفاظ على التنوع البيولوجي في عالمنا المعاصر.

٤٥ - وفي ٩ أيار/مايو ٢٠١٤، أصدرت مدرسة هارفرد للصحة العمومية دراسة جديدة تشير إلى أن استخدام ولو مقادير ضئيلة من المبيدات التي قاعدتها أشباه مشتقات النيونيكوتين يمكن أن يضر ضررا بالغا بمستعمرات نحل العسل، ونفوق أفرادها على نطاق واسع في وقت الشتاء. واكتشف علماء هارفرد في دراستهم هذه أن خلايا النحل التي تتعرض لنوعين من مشتقات أشباه النيونيكوتين هي أشد تعرضا بكثير لمتلازمة انهيار مستعمرات النحل من الخلايا غير المعرضة لتلك المشتقات.

٤٦ - وأشباه مشتقات النيونيكوتين، هي طائفة من المبيدات الحشرية ذات التأثير العصبي التي تماثل النيكوتين من الناحية الكيميائية. وقد بدأ استحداث هذه الطائفة من المبيدات في ثمانينيات القرن العشرين. علما بأن أشباه مشتقات النيونيكوتين هي الطائفة الجديدة الأولى من المبيدات الحشرية المستحدثة في السنوات الخمسين الماضية، وما زالت هي أوسع المبيدات استخداما في العالم^(٧).

٤٧ - وهناك مجموعة أخرى من الأنواع التي تتناقص أعدادها تناقصا كبيرا يهدد بانقراضها، وهي البرمائيات؛ إذ إن ما يصل إلى ٤٠ في المائة من الأنواع البرمائية مهدد الآن بالانقراض. ويرى العالمان دافيد ب. ويك وفانس ت. فريد ينبرغ أنه بناء على المعدلات الحالية لانقراض البرمائيات، فإن الوضع الآن مهيباً لوقوع كارثة مماثلة لكارثة ”الهلاك العظيم“^(٨). وإذا صح ما يقول به ويك وفريد ينبرغ، فإننا لا نشهد الآن ظاهرة من أندر الظواهر في تاريخ الحياة فحسب، بل نشهد أيضا مسببها. فقد لاحظ العالمان أن نوعا

(٧) انظر <http://www.xercer.org/neonicotinoids-and-bees>.

(٨) انظر <http://www.pnas.org/content/105>.

عشيبا قد حقق دون أن يدري التأثير بشكل مباشر على مصيره هو ومصير معظم الأنواع التي تعيش على هذا الكوكب“^(٦).

٤٨ - وفي ضوء المعدّل المقلق الذي يجري به فقدان التنوع البيولوجي، ونظرا إلى دور هذا التنوع الذي لا غنى عنه في إنتاج الغذاء وفي الزراعة، فسوف تصدر منظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة تقريرا حفزت على إعداده البلدان بشأن حالة التنوع للأغذية والزراعة في العالم، يصدر في عام ٢٠١٧، ويبرز ما يسهم به التنوع البيولوجي، سواء خصّ الحشرات التي تلّصّح النباتات، أو البكتيريا المجهرية المستخدمة في صناعة منتجات الألبان أو آلاف المحاصيل المتنوعة، والمواشي التي تحافظ على الأمن الغذائي في العالم، في تحقيق الأمن الغذائي، وضمان أسباب الرزق، وكفالة الصحة البيئية. وفي مواجهة التغيّرات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية الحالية والمستقبلية، يمثل التنوع الجيني مستودعا بالغ القيمة للخواص الجينية التي يمكن استخدامها لتحسين استدامة نُظُم إنتاج الغذاء ومرونتها وقدرتها على التكيف، فضلا عن كفالة السلامة لعالم الطبيعة على المدى الطويل.

٤٩ - ولا بد للبشرية من بذل كل الجهود الممكنة لوقف فقدان التنوع البيولوجي، الذي يؤثر أيضا على الغذاء والزراعة. وتعتمد المجتمعات المحلية والباحثون على التنوع البيولوجي لتحسين نوعية الإنتاج الزراعي ومخرجاته. وعندما تتآكل النظم الطبيعية، تفقد البشرية إمكانية تكيف إنتاج الغذاء مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية المتغيّرة، مثل تلك الناجمة بالفعل عن تغيّر المناخ.

رابعاً - حوكمة النظام الأرضي

٥٠ - تطوّر علم النظام الأرضي من علم ديكارتيّ الترعة يقوم على الازدواجية والعلة والمعلول، إلى شكل من أشكال الدراسة يتناول تعقّد الحياة. فهو الذي أوجد مشروع حوكمة النظام الأرضي، الذي يعتمد على المعارف العلمية الشاملة التي يقدمها علم النظام الأرضي من أجل وضع قوانين وسياسات تدير على نحو أفضل السلوك البشري في ضوء علاقات الترابط بين الناس والطبيعة. ويواصل علم النظام الأرضي ومشروع حوكمة النظام الأرضي تعزيز كل منهما للآخر توخيا للوصول إلى رؤية شاملة لكوكب الأرض.

٥١ - ونظرا إلى أنه ما من نوع إلا وقد تأثر بتمدّد النوع البشري، الذي لم يتأثر به حتى الآن سوى قليل من النُظُم الإيكولوجية، أنشئ مشروع حوكمة النظام الأرضي في عام ٢٠٠٧، كنتيجة مباشرة للتفاهات الناشئة لعلم النظام الأرضي. علما بأن البرامج الأربعة الرئيسية المرتبطة بالمشروع هي البرنامج الدولي للتنوع البيولوجي [DIVERSITAS]،

والبرنامج الدولي للغلاف الأرضي والمحيط الحيوي، والبرنامج الدولي للأبعاد الإنسانية للتغير البيئي العالمي، والبرنامج العالمي لبحوث المناخ. وهذه البرامج قائمة، بصفقتها الفردية، منذ تسعينيات القرن العشرين، ولكن اتضح أنه لا يمكنها منفردة التصدي للمساءل التكاملية المتعلقة بالنظام الأرضي، وبخاصة المسائل ذات الصلة بالقضايا الأساسية للطاقة (الكربون)، والغذاء، والماء، والصحة.

٥٢ - وتقدم هذه البرامج الأربعة اليوم أدلة على أن النظام الأرضي بكامله يعمل الآن متجاوزا إلى حد بعيد الحالة العادية التي ظلت مشهودة خلال ٥٠٠ ٠٠٠ سنة مضت، وأن النشاط البشري يتسبب في تغييرات تتجاوز إلى حد بعيد التغير الطبيعي. وقد أصبح جليا أن المؤسسات والمنظمات والآليات التي ينظم بها البشر حاليا علاقتهم بالأرض ونظمها الكيميائية الحيوية المعقدة، ليست غير كافية فحسب، بل يساء فهمها أيضا. وإنشاء مشروع حوكمة النظام الأرضي، أصبح واضحا أن الحوكمة، كالعلم، تتجه نحو نفس النهج الشامل لفهم دور البشرية على هذا الكوكب، ومدى كون البشر جزءا من الطبيعة.

٥٣ - ومشروع حوكمة النظام الأرضي هو أكبر شبكة للبحوث العلمية الاجتماعية في مجال الحوكمة والتغير البيئي العالمي. وينهض برنامج البحوث الدولي بمهمة استكشاف حلول سياسية ونظم للحوكمة جديدة وأكثر فعالية لوقف وإعكاس التحولات السلبية الحالية في نُظم كوكبنا الكيميائية الحيوية. علما بأن السياق المعياري للبحوث هو التنمية المستدامة، الذي يُنظر فيه إلى حوكمة النظام الأرضي لا بوصفها مسألة تتعلق بالحوكمة الفعالة، وإنما بوصفها أيضا تحديا للمشروعية السياسية والعدالة الاجتماعية^(٩).

٥٤ - وتشير فكرة الحوكمة هنا إلى هيكل أقل هرمية من الهيكل الحكومي لرسم السياسات (وإن كانت معظم ترتيبات الحوكمة الحديثة سوف تشتمل أيضا على درجة من الهرمية)، وإلى شكل من أشكال الحكومة أقل مركزية ويفتح الباب للتنظيم الذاتي، ويضم، فيما يضم، جهات من غير الدول، تشمل الدوائر الصناعية، والمنظمات غير الحكومية، فضلا عن العلماء، والمجتمعات الأصلية، وحكومات المدن، والمنظمات الدولية، والجمهور عموما^(٩).

٥٥ - ويبيّن الأستاذ فرانك بيرمان، الأستاذ بجامعة أمستردام الحرة، ورئيس التحالف البحثي لحوكمة النظام الأرضي، والمشارك في جلسة التحوار التفاعلي الرابعة بشأن الانسجام مع الطبيعة، أن مشروع حوكمة النظام الأرضي يعكس تغيرا نظريا رئيسيا في فهمنا للأرض،

(٩) <http://www.earthssystemgovernance.org/about>

إذ إننا لم نعد الآن نواجه تحديات يمكن أن نصفها وصفا دقيقا باستخدام مصطلح "السياسة البيئية"، بل إن البشرية تواجه تحولا أساسيا لعناصر جوهرية في النظام الأرضي بكامله، من بين أسبابه المهمة السلوك البشري، مما يقتضي اتخاذ نُهج جديدة.

٥٦ - ثم يوضح الأستاذ بيرمان أن حوكمة النظام الأرضي تمثل اليوم أحد التحديات الرئيسية أمام راسمي السياسات، والحكومات، فضلا عن مجموع المؤسسات التي أنشأتها الحكومات. ثم إنهما، فوق ذلك كله، تمثل تحديا رئيسيا للأمم المتحدة. ونظرا لما نواجهه من تعقيدات، فقد أكد الأستاذ بيرمان على ضرورة القيام بعملية إصلاح جدي للحوكمة والمؤسسات الدولية؛

"فنحن لا يمكننا حل مشكلات القرن الحادي والعشرين بمؤسسات تعمل وفق قواعد يعود منشؤها، في معظمه، إلى القرن التاسع عشر. لذلك، فلا بد لنا من أن نستكشف علميا وسياسيا على السواء، أنواعا جديدة للمشاركة المتعددة الأطراف. ونحن إن فعلنا ذلك، فإن إصلاح النظام الحكومي الدولي لن يكون هو المستوى الوحيد للتغيير المجتمعي ولا نوع العمل الوحيد اللازم من أجل الاستدامة. ولا يخفى أن تغيير سلوكيات فرادى المواطنين، في المجتمعات، والمشاركة الجديدة لمنظمات المجتمع المدني، وإعادة توجيه القطاع الخاص نحو الاقتصاد المستدام، هي كلها عوامل بالغة الأهمية لتحقيق التقدم. غير أن تحقيق الفعالية للعمل على الصعيدين المحلي والوطني، يقتضي أن يكون الإطار المؤسسي العالمي داعما وتصميمه جيد"^(١٠).

٥٧ - وقد اعترف بأن السياسة البيئية لم تعد تتعاطى مع النطاق الكامل للتحديات التي نواجهها فيما يتعلق بالاستدامة، ويصدق هذا على التشريعات البيئية. ففي ستينيات القرن العشرين، بدأ بكل همّة إصدار التشريعات البيئية، وحتى الآن، أي بعد مضيّ خمسة عقود، لم تفلح التشريعات البيئية في حماية الهيكل الأساسي لنظم الأرض الإيكولوجية وسلامتها.

٥٨ - وقد أوضحت لندا شيهان، المديرية التنفيذية لمركز قانون الأرض، المشاركة في جلسة الحوار التفاعلي الثالثة بشأن الانسجام مع الطبيعة، ومنسقة جلسة الحوار التفاعلي الرابعة أن "التشريعات البيئية تغفل علاقة الترابط بين الماء والهواء والأرض والأحياء البرية. كما أن القوانين الحالية التي تُعنى بعامل إجهاد بيئي وحيد، لا تلتفت إلى حقيقة أن البشر يمكن أن

(١٠) Frank Biermann, "Governance in the Anthropocene: Towards Planetary Stewardship", Fourth Interactive Dialogue .on Harmony with Nature, 22 April 2014 (www.harmonywithnatureun.org/index.php?page=view&type=12&nr=40)

يُغيروا نُظْمًا إيكولوجية بأكملها عن طريق تلويث الهواء على نطاق عالمي. ومن ثم، أصبح بالتدرج من المعتاد اعتماد نظام قانوني يقوم على الاعتراف بأن النظم الإيكولوجية، بجميع جوانبها، لها حقوق طبيعية في الصحة، والرخاء، والتطور^(١١).

٥٩ - وأشارت السيدة شيهان إلى أن العلاقة ذات الاتجاهين ضرورية بمقتضى أي نهج قانوني مراعى للأرض: فبدون الاحترام المتبادل لحماية الحقوق البشرية والطبيعية، فسوف تحايي القوانين طرفا على حساب الآخر. والمستهدف هو وضع نظام قانوني قائم على حقوق ومسؤوليات أساسية متساوية - نظام يعكس ويحقق العلاقات التي يقوم كل من طرفيها، البشر وعالم الطبيعة، بتعزيزها. ونحن بحاجة إلى مجموعة من القوانين المراعية للأرض تجمع بين العلوم الحديثة والوعي الأخلاقي. بمسؤولياتنا الأدبية كبشر. وإذا أُريد لنا البقاء كنوع أخلاقي ومادي، يتعين علينا تشريع نظام قانوني مراعى للأرض يعكس "وعينا" العلمي والأخلاقي المتنامي ومكاننا في المجتمع العالمي.

٦٠ - وقد بدأت بالفعل مجتمعات حول الولايات المتحدة اعتماد قوانين تعكس هذه العلاقات. فهناك مجالس بلدية تعمل على اعتماد قوانين تعترف تحديداً "بحق واجب النفاذ للمجتمعات الطبيعية والنظم الإيكولوجية في أن توجد وأن تزدهر".

٦١ - وفي آب/أغسطس ٢٠١٢ أبرم في نيوزيلندا اتفاق بين قبائل وانغونوي والسلطة الملكية يعترف، فيما يعترف، بكون نهر وانغونوي كائنا حيا وأن الناس والنهر متلازمان، والاعتراف القانوني بكون النهر كيانا قانونيا له مكانته في حد ذاته^(١٢).

٦٢ - وفي الحكم الذي أصدرته المحكمة العليا في الهند، بشأن الدعوى التي رفعها ت.ن. غودافارمان ثيرومولباد ضد اتحاد الهند (٢٠١٢)، رأت المحكمة أن العدالة البيئية تقتضي التحول عن المبادئ التي محورها البشر إلى مبادئ محورها البيئة. فلا يخفى أن التنمية المستدامة، ومبدأ المسؤولية عن التلوث، والعدالة بين الأجيال، منشؤها المبادئ التي محورها البشر المتركز على مصالحهم. فغير البشري ليس له لدى البشر سوى قيمة ثانوية^(١٣).

٦٣ - أما فاندرفالكوني، الاقتصادي والعالم الإكوادوري، والمشارك في جلسة الحوار التفاعلي الرابعة بشأن الانسجام مع الطبيعة، فقد دعا إلى ضرورة بناء مجتمع مستدام يحترم البيئة كمسألة مبدأ ومسألة حقوق. كما دعا إلى إعطاء الحقوق للطبيعة على نفس النحو

(١١) Linda Sheehan, "Earth Day Revisited: Building a Body of Earth Law for the Next Forty Years", in *Exploring Wild Law: The Philosophy of Earth Jurisprudence*, Peter Burdon, ed. (Wakefield Press, Kent Town, South Australia, 2011).

الذي أعطيت به الحقوق للبشر. ويرى فالكوني أن حقوق الطبيعة في طريقها لأن تصبح جزءاً من المناقشات الدولية حول الأمور المتعلقة بالعدالة البيئية.

٦٤ - وفي عام ٢٠٠٨، أصبحت إكوادور أول دولة تعتمد نصاً دستورياً يعطي الطبيعة حقوقاً غير قابلة للتصرف وواجبة النفاذ. وينص دستورها الجديد على ما يلي: "للطبيعة أو باتشاماما، حيث توجد الحياة ويعاد إنتاجها، الحق في الوجود، والاستمرار، وفي الحفاظ على دوراتها الحيوية وبنيتها ووظائفها وعملياتها وإعادة توليدها في سياق التطور". وينص الدستور على ضرورة مراعاة حقوق الطبيعة بشكل متكامل، بما في ذلك صون وتحديد دوراتها ووظائفها وعمليات تطورها؛ وكذلك الحق في إصلاح حالها^(١).

٦٥ - وقد أحرز أول انتصار في القضاء لحقوق الطبيعة في إكوادور في عام ٢٠١٠، عندما قام مدعون محليون برفع دعوى باسم حقوق نهر فيلكابامبا. وشرعت الحكومة المحلية في تنفيذ مشروع لتوسيع طريق، حيث قامت بإلقاء الأنقاض في النهر، مما أثار في تدفق النهر وتسبب في حدوث فيضانات محلية. ورأت المحكمة أن الحقوق الدستورية للنهر في التدفق قد انتهكت وكلفت حكومة الإقليم بإصلاح الضرر^(١).

٦٦ - ومنذ عام ٢٠٠٧، تجسد السياسة الجديدة لدولة بوليفيا المتعددة القوميات مفهوم "العيش الجيد" ("Vivir Bien")، ليس فقط من حيث الدخل، إنما الأهم من ذلك من حيث احترام الهوية الثقافية، والمجتمع المحلي، والانسجام فيما بين البشر وبين البشر والطبيعة. وفي أوائل عام ٢٠٠٩، أصدر دستور جديد على أساس من هذه المبادئ. وفي كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٠، اعتمد قانون جديد بشأن حقوق أمننا الأرض يمنحها الحقوق السبعة التالية: الحق في الحياة وفي الوجود؛ والحق في عدم تعديل هيكلها الخلوي أو تحويله جينياً؛ والحق في المياه النقية؛ والحق في الهواء النظيف؛ والحق في التوازن؛ والحق في استمرار الدورات والعمليات الحيوية دون تعديلات من البشر؛ والحق في عدم التعرض للتلوث. وفي تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٢، اعتمد القانون الإطاري لأمننا الأرض والتنمية المتكاملة من أجل العيش الجيد^(١).

٦٧ - وفي ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٣، في منطقة مكسيكو الاتحادية، دخل حيز النفاذ القانون البيئي لحماية الأرض. وهذا القانون، الذي استوحى من التشريعات التي اعتمدها حكومتا دولة بوليفيا المتعددة القوميات وإكوادور لحماية أمننا الأرض، يعترف أيضاً بالأرض بوصفها كائناً حياً.

٦٨ - وتعكس الحقوق ووسائل الانتصاف الواردة في التشريع البيئي الجديد توصيات كريستوفر ستون، أستاذ القانون بجامعة جنوب كاليفورنيا، الذي كتب في عام ١٩٧٢ أنه

ينبغي أن تحظى الطبيعة بمركز في المحاكم، وأن حقوقها القانونية يجب أن تكون واجبة النفاذ بالنيابة عنها بوصفها الكيان المضرور، ويجب أن تشمل وسائل انتصاف تعود بالنفع على صاحب الحق المضرور، وهو البيئة في هذه الحالة. والإجراءات التي يتخذها الجمهور بالنيابة عن عالم الطبيعة ضرورية لنظام القوانين المعنية بالأرض هذا، المستند إلى الحقوق^(١١).

٦٩ - ويشكل إنشاء نظام من القوانين المعنية بالأرض يعترف بالحقوق المتأصلة المتساوية لجميع أفراد المجتمعات على الأرض في الكفاح والكد والتطور معا مهمة مهولة. ويقودنا العلم الحديث والأخلاقيات على نحو متزايد إلى أن نقدر المنافع الكثيرة للعلاقات القائمة على الاحترام مع عالم الطبيعة. وإن كان العلم يتطور نحو الاعتراف بأوجه الترابط بين البشر والطبيعة، نقوم كذلك بتطوير القوانين ونظم الحوكمة المراعية للأرض، التي تستوعب وتعمل هذه الحقوق المتبادلة والقائمة على الاحترام^(١١).

خامسا - الاقتصادات المراعية للأرض

٧٠ - تؤثر النظرة العالمية الكلية التي يقدمها علم نظام الأرض في القوانين وأشكال الحكم المراعية للأرض، وكذلك في الاقتصادات المراعية للأرض التي تستند بالمثل إلى علم نظام الأرض في إنشاء اقتصادات جديدة تقوم على العلوم، وتتيح هذه النظرة كذلك وجود هذه القوانين وأشكال الحوكمة والاقتصادات.

٧١ - وفي الاجتماع البرلماني لعام ٢٠١٣ الذي عقد في مقر الأمم المتحدة والذي ضم ما يقرب من ٢٠٠ برلماني من طائفة من البلدان لمناقشة موضوع "إعادة التفكير في التنمية المستدامة: البحث عن خطة "تحول" عالمية لعام ٢٠١٥"، نوقشت مسألة "معضلة النمو" من المنظورين الاقتصادي والبيئي على السواء. ولا ينشأ التفكير الجديد عن الاعتبارات الإيكولوجية وحدها، على الرغم من أن إطلاق العنان للنمو يمثل أحد عوامل التطورات السلبية من قبيل تغير المناخ أو فقدان التنوع البيولوجي، ولكنه ينشأ عن إدراك لاعتماد الاقتصاد القائم على النمو بصورة غير مستدامة على استغلال عالم الطبيعة^(١٢).

٧٢ - وأشار البرلمانيون إلى أن النموذج القائم على النمو كمي يبقى مستقرا يجب عليه أن يعزز ثقافة الاستهلاك التي تُربط حياة الناس في ظلها بشراء المزيد من الأشياء. وتبرر هذه الثقافة بدواعي لزوم هذا الاستهلاك لضمان استمرار الوظائف والإيرادات الضريبية. ويزعم

(١٢) الاتحاد البرلماني الدولي، الاجتماع البرلماني السنوي في الأمم المتحدة، "إعادة التفكير في التنمية المستدامة: البحث عن خطة 'تحول' في عام ٢٠١٥"، التقرير الموجز، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٣.

الخبراء أن غياب هذا النموذج يعني أن ترتفع البطالة وينخفض الاستهلاك ويزداد العجز الحكومي وتقلص النفقات العامة ويرتفع عدد حالات التخلف عن تسديد القروض ويتراجع الاستثمار ويدخل الاقتصاد في دوامة تؤدي إلى الانهيار. ولتجنب الوقوع في تلك الدوامة، يجد العالم في تحقيق المزيد من النمو غير المسبوق، فيبني مجموعة معقدة من العلاقات التي تستند إلى عدد متزايد من الناس الذين يعملون لإنتاج كميات متزايدة من البضائع ليشتريها الناس، ويستثمرون مدخراتهم في الاستهلاك، ويسعون باستمرار إلى تحقيق النمو اللازم للإبقاء على الاستقرار الاقتصادي^(١٢).

٧٣ - وكتب فاكلاف سميل، وهو عالم ومحلل سياسات كندي وأستاذ فخري في كلية البيئة بجامعة مانيتوبا في وينيبغ، باستفاضة عن البيئة وإنتاج الأغذية والطاقة. وعندما سئل عن معدلات الاستهلاك، أوضح أنه عندما ننظر إلى أجهزة الآي فون الخاصة بنا قد نظن أننا لم نعد بحاجة إلى الساعات أو الهواتف أو الكاميرات أو البوصلات أو الخرائط، وأننا لا نحتاج إلا لغرض واحد هو الهاتف الذكي، ويمكن أن يتولد لدينا الانطباع بأننا نستخدم عددا أقل من المنتجات. غير أن التقديرات تشير إلى أنه يجري التخلص من بليون هاتف خلوي كل تسعة أشهر. وبالتالي، لا يجري الحد من استخدام الأغراض المادية إلا بصورة نسبية.

٧٤ - وهو يشبه كذلك هذا الأمر بزيادة الطاقة التي تلاحظ بسبب الكفاءة في استهلاك الطاقة. فالأسر المعيشية لا تكتفي الآن بامتلاك سيارة واحدة وثلاجة واحدة أو جهاز تلفزيون واحد مقارنة بما كان عليه الحال في الماضي. وبعبارة أخرى، يتناقص الاستهلاك من كل وحدة، ولكن الاستهلاك الإجمالي يتزايد.

٧٥ - وأشار كذلك ممثلو الدول الأعضاء الذين تكلموا في جلسة التحاور التفاعلي الرابعة بشأن الانسجام مع الطبيعة إلى أنه في ضوء العمل الذي يجري حاليا الاضطلاع به من قبل العلماء والأوساط الأكاديمية والمجتمع المدني فيما يتعلق بتقليل الحياة على الأرض، لا بد من إجراء تحول في النموذج تتوقف فيه معاملة الطبيعة بوصفها سلعة إذا ما توخينا تحقيق التنمية المستدامة.

٧٦ - وفي الاجتماع البرلماني لعام ٢٠١٣، أعرب برلمانيون عن آراء تتواءم مع الآراء المعروفة جيدا للأمين العام وكذلك للأمين العام للاتحاد البرلماني الدولي، والتي ترد في البيان الذي قدمه في المنتدى السياسي الرفيع المستوى المعني بالتنمية المستدامة في ٧ تموز/يوليه

٢٠١٤^(١٣). واتفق البرلمانون على أن حل معضلة النمو يتطلب الأخذ بنهج جديد إزاء رفاه البشر، وهو ما يتطلب بدوره التفكير بمهية الرخاء. ومن الواضح أنه لا يعني زيادة النمو المادي أو غنى المستهلكين بصورة لا سابق لها. فالرخاء يقاس بمستوى صحتنا النفسية والاجتماعية، وقدرتنا على ربط حواسنا بالطبيعة المحيطة بنا، وشعورنا بالانتماء في المجتمع الذي نعيش فيه، بقدر ما يقاس بمستوى حيازتنا للأشياء. وهو فن العيش الجيد على كوكب محدود الموارد^(١٤) وهذا يشمل بالضرورة رفاه الطبيعة نفسها.

٧٧ - وفي إطار دعم هذا التفكير الجديد، أقرت لجنة ستيغليتز، التي أنشئت في عام ٢٠٠٧، الناتج المحلي الإجمالي بوصفه مقياساً للإنتاج وليس للرفاه، حيث إن الرفاه هو مفهوم متعدد الأبعاد يشمل معايير العيش المادية والجوانب غير النقدية لنوعية الحياة. وقد سُلّم بضرورة الأخذ ببديل صالح للناتج المحلي الإجمالي في تقارير سابقة للأمين العام ليكون عنصراً أساسياً من عناصر العيش في انسجام مع الطبيعة (انظر A/65/314 و A/66/302 و A/67/317).

٧٨ - وقد وضع الأساس في الوثيقة الختامية لمؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، "المستقبل الذي نصبو إليه"، لإنشاء فريق أصدقاء الرئيس للعمل من أجل إيجاد بديل للناتج المحلي الإجمالي (القرار ٢٨٨/٦٦، المرفق، الفقرة ٣٨). وفي شباط/فبراير ٢٠١٤، أنشأت اللجنة الإحصائية للأمم المتحدة، في دورتها الرابعة والأربعين، فريق أصدقاء الرئيس المعني بوضع مقاييس أوسع نطاقاً للتقدم استجابة لطلب المؤتمر بأن تضع برنامج عمل بشأن مقاييس أوسع نطاقاً للتقدم تشكل مكملاً للناتج المحلي الإجمالي وتوفر معلومات أفضل لعمليات اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسات العامة.

٧٩ - وأكد الفريق مجدداً في النتائج التي توصل إليها التحليل الذي أجرته لجنة ستيغليتز في وقت سابق بشأن الناتج المحلي الإجمالي والذي يفيد بأن مؤشرات الرفاه المادي ينبغي أن تتجاوز الناتج المحلي الإجمالي. و"يمكن تقييم الاستدامة مع مرور الزمن عن طريق النظر إلى مجموعة الأصول الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والبشرية الرئيسية التي تنتقل من الأجيال الحالية إلى الأجيال المقبلة، وكيفية تأثر هذه الأصول بما ينفذ اليوم من أعمال وسياسات وسلوكيات"^(١٤).

(١٣) كلمة الأمين العام للاتحاد البرلماني الدولي، السيد مارتن تشونغونغ، التي ألقاها في المنتدى السياسي الرفيع المستوى المعني بالتنمية المستدامة، الحوار الوزاري المتعلق بـ "الخطة العالمية للسياسات المتكاملة الرامية إلى تنفيذ نتائج مؤتمر ريو ٢٠+ وتحقيق المستقبل الذي نصبو إليه".

(١٤) E/CN.3/2014/4، الفقرة ١٤.

٨٠ - وأكدت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لآسيا والمحيط الهادئ في تقريرها الرئيسي المعنون "التحول من الكم إلى النوع: النمو المقترن بالجودة والكفاءة والاستدامة والدينامية"، الذي أصدر في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٣، أن "استراتيجيات النمو في الأجل القصير التي تهدف إلى تحقيق أقصى حد من نمو الناتج المحلي الإجمالي تتسبب في إيجاد 'حلقة مفرغة' من النمو المدفوع باستغلال رأس المال البشري والطبيعي. ويستلزم تحقيق التنمية المستدامة التحول إلى 'دورة حميدة' من الاستثمار في البشر والكوكب، يكون فيها النمو الاقتصادي وسيلة لتحقيق الرخاء المشترك والرفاه البشري ضمن إمكانات الكوكب وليس هدفا في حد ذاته".

٨١ - ويجسد نموذج اقتصادي جديد يراعي الأرض صورة للإنسان تختلف اختلافا أساسيا عن الفهم الضيق للاقتصاد التقليدي الجديد الذي يفترض أن جميع الأفراد مدفوعون في سلوكهم بمصالحهم الخاصة حصرا^(١٢). وفي ظل هذا النظام الاقتصادي الجديد الذي يراعي الأرض لن يتحقق رفاه البشر ورفاههم على حساب الأرض، ولكنهما بالأحرى سيخدمان الأرض. ويتواءم هذا النظام مع النتائج الواردة في تقارير الأمين العام الأربعة السابقة باعتباره عنصرا أساسيا من عناصر العيش في انسجام مع الطبيعة، فهو يسلم بأن الاقتصاد الإيكولوجي (وليس سوقنة الطبيعة) ضروري لكفالة رفاه كل من الكوكب والبشر، المترابطين بشكل وثيق.

٨٢ - وفي جلسة التحوار التفاعلي الرابعة، ذكر بعض ممثلي الدول الأعضاء أن العيش في انسجام مع الطبيعة يجب أن يعني أيضا احترام مبدأ المساواة وكفالة تقاسم منصف مع الطبيعة من أجل كفالة دوام عافيتها. وأكدوا أن أنماط الاستهلاك الحالية وأساليب الحياة الحديثة من قبيل تلك التي اكتسبت شعبية في العالم المتقدم النمو ليست غير قابلة للاستمرار فحسب، ولكنها غير منصفة أيضا، وأنه يجب علينا إيجاد سبل جديدة للانتقال إلى ثقافة عيش أكثر اقتصادا في استهلاك الموارد وأقل إهدارا لها وأكثر إنصافا في تقاسمها^(١٥).

٨٣ - وتمثل الزراعة المستدامة أحد الأمثلة على هذه السبل. وأشار جيم جيريتسين، وهو أحد المشاركين في جلسة التحوار التفاعلي الرابعة عن الانسجام مع الطبيعة، وهو يملك ويدير مزرعة عضوية في شمال شرق الولايات المتحدة، إلى أن الزراعة العضوية هي نهج من النهج المتبعة للوصول إلى زراعة مستدامة يقصد منه أن يحقق الانسجام مع الطبيعة أساسا من خلال طموح إلى محاكاة النظم الحية الطبيعية المعقدة لأمننا الأرض. وتنطوي الزراعة العضوية

(١٥) انظر <http://www.harmonywithnatureun.org/index.php?page=view&type=12&nr=40>

على الحفاظ على عافية التربة ونوعيتها وخصوبتها بحيث تكون النباتات التي تنمو فيها نافعة لصحة الناس وتصون الحياة.

٨٤ - ويقول جيريتسين إن عددا متزايدا من الدراسات العلمية يوضح أن الزراعة العضوية هي نظام إنتاج أفضل من سواه عندما يتعلق الأمر بمقاييس نوعية الأغذية، والسيادة الغذائية، والقدرة على الصمود في وجه تغير المناخ. وقد أصدر مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية في أيلول/سبتمبر ٢٠١٣ إحدى أهم الدراسات التي تدعم إجراء تحول إلى الزراعة العضوية، "استيقظوا قبل فوات الأوان: اجعلوا الزراعة مستدامة حقا الآن لتحقيق الأمن الغذائي في ظل مناخ متغير".

٨٥ - والزراعة الدائمة هي مثال آخر على الطرق الزراعية التي يجري تطبيقها حاليا والتي يقصد منها أيضا أن تكون في انسجام مع الطبيعة. والزراعة الدائمة هي فرع من التصميم الإيكولوجي، والهندسة الإيكولوجية، والتصميم البيئي، والتشديد، والإدارة المتكاملة للموارد المائية، يعنى بتصميم الهياكل المستدامة والموائل ذات القدرة على التجدد والحفاظة على نفسها والنظم الزراعية التي تحاكي النظم الإيكولوجية الطبيعية.

٨٦ - وتنطوي الزراعة الدائمة على العمل مع الطبيعة بدلا من العمل ضدها، والمراقبة المطولة والمتروية بدلا من العمل الطويل والأرعن؛ وعلى النظر إلى النباتات والحيوانات معا بدلا من اعتبارهما نظامين منفصلين من المنتجات^(١٦).

٨٧ - ويمكن أن تتفاوت تقنيات واستراتيجيات الزراعة المستدامة حسب الموقع والظروف المناخية والموارد المتاحة، ولكن إن كان يمكن للطرائق أن تختلف، تبقى مبادئ هذا النهج الكلي ثابتة^(١٦).

سادسا - خاتمة وتوصيات

٨٨ - يشكل تغير المناخ شاغلا متزايدا للإلحاح وألوية عليا للأمم المتحدة. ووفقا للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، سيرتفع متوسط درجة حرارة سطح الأرض ما بين ٢,٥ و ١٠,٤ درجات فهرنهايت في غضون السنوات المائة المقبلة إذا لم تخفض انبعاثات غازات الاحتباس الحراري التي نطلقها في وقت قريب. ولئن كان ارتفاع بمقدار درجتين يمكن أن يبدو صغيرا، يجب أن نلاحظ أن متوسط درجة حرارة الأرض ظل في حدود فرق لا يتجاوز

(١٦) مقالة بيل موليسون بشأن الزراعة الدائمة (انظر http://en.wikipedia.org/wiki/Permaculture#cite_note-4).

١,٨ درجة فهرنهايت طوال ١٠ ٠٠٠ سنة. ويؤدي تغير متوسط درجة الحرارة بعدد قليل من الدرجات إلى الفرق بين عصر جليدي والمناخ الحالي للأرض^(١٧).

٨٩ - ولم يعد بالإمكان تجاهل أهمية كل ارتفاع بدرجة واحدة في درجة الحرارة العالمية نظراً لأن زيادة قدرها ١٠ درجات في درجة حرارة الأرض تساوي في الأهمية إصابة أجسامنا بحمى مقدارها ١٠٨ درجات. ولا يوجد علاج سحري من شأنه معالجة هذا الارتفاع في درجات الحرارة بين عشية وضحاها، لأن ثاني أكسيد الكربون يمكن أن يدوم لفترة تصل إلى بضعة قرون في الغلاف الجوي.

٩٠ - والصحة البشرية ترتبط بالتالي ارتباطاً وثيقاً بصحة كوكب الأرض وبالعيش والإنتاج في انسجام مع الطبيعة. ولا مفر من التأثير الشديد الذي سيوقعه تغير المناخ في الصحة العمومية على الصعيد العالمي. وللتصدي لهذا التحدي، ستستضيف منظمة الصحة العالمية المؤتمر العالمي الأول المعني بالصحة والمناخ في الفترة من ٢٧ إلى ٢٩ آب/أغسطس ٢٠١٤ في جنيف.

٩١ - وخلال هذا العقد، يجب على البشرية أن تكثف الجهود الرامية إلى استعادة بيئة صحية للأجيال الحالية والمقبلة. ويجب أن يسعى البشر إلى عالم يجري فيه الاضطلاع بكل النشاط البشري بما يحقق التوازن مع ما تقدمه الأرض والالتزام بمعاملة الطبيعة معاملة الأنداد على أسس من الكرامة والاحترام. وإذا أردنا نحن البشر أن ننجح كنوع من الأحياء، يلزم أن نعيد تعريف الثروة باعتبار أنها تعني في بعض الأحيان أكثر من التراكم المالي كما تعني الاقتراب من البحث عن الرفاه في انسجام مع الطبيعة ومن خلال تحويل النماذج الاقتصادية والقانونية السائدة وفقاً لما ذكر أعلاه.

التوصيات

٩٢ - في ضوء المناقشة السابقة، ومن أجل تقديم أفكار ومساهمات من النقاش الجاري بشأن الانسجام مع الطبيعة إلى الأعمال التحضيرية لخطة التنمية لما بعد عام ٢٠١٥، يقدم الأمين العام التوصيات التالية:

(أ) دعوة الشبكة المعرفية القائمة في مجال الانسجام مع الطبيعة والمؤلفة من الممارسين والمفكرين والأكاديميين الذين يعملون في طليعة علومهم الطبيعية والاجتماعية،

(١٧) الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، الفريق العامل الثاني "حالة تغير المناخ في عام ٢٠١٤: التأثيرات والتكيف ومواطن الضعف"، ٣١ آذار/مارس ٢٠١٤.

بما في ذلك الفيزياء، والكيمياء، وعلم الأحياء، والإيكولوجيا، والاقتصاد، وعلم الاجتماع، والقانون، والأخلاقيات، وعلم الإنسان، والطب، وعلم اللغة، إلى مواصلة تعزيز عملية وضع المفاهيم لنموذج إنمائي جديد يعكس مبادئ العيش في انسجام مع الطبيعة وعوامله المحركة وقيمه، والاعتماد على المعلومات العلمية الحالية، لا سيما المستقاة من مراكز التفوق في العلوم الاقتصادية والاجتماعية والبيئية؛

(ب) تقديم الدعم، عن طريق الموقع الشبكي للانسجام مع الطبيعة (www.harmonywithnatureun.org)، إلى الأعمال التي تضطلع بها الدول الأعضاء والمجموعات الرئيسية والجهات المعنية الأخرى وشبكة المعرفة المتنامية بشأن هذا الموضوع، وذلك تمشيا مع المستقبل الذي نصبو إليه، من أجل تسليط الضوء على السياسات الشاملة والمتكاملة لإرشاد الإنسانية إلى حياة تنسجم مع الطبيعة وإلى استعادة عافية وسلامة النظام الأرضي؛

(ج) التأكد من خلال الحوارات والمناقشات المتوازنة التي تجري في جميع الأنشطة التحضيرية لوضع خطة التنمية لما بعد عام ٢٠١٥ من مراعاة احتياجات الكوكب وسكانه على السواء.